



حجاجية الاستعارة التمثيلية في الخطاب القرآني سورة الاسراء "أنموذجا"

***The Argumentative Function of Allegorical Metaphor in Qur'anic Discourse:  
A Case Study of Surah Al-Isra'***

أمال شيخ\*

جامعة المسيلة ( الجزائر )

[amal.cheikh@univ-msila.dz](mailto:amal.cheikh@univ-msila.dz)

**المخلص:**

**معلومات المقال**

يتناول هذا البحث حجاجية الاستعارة التمثيلية في الخطاب القرآني من خلال سورة الإسراء، مبرراً دورها في تحويل المعاني المجردة إلى صورٍ حسية نابضة تُقنع المتلقي وتؤثر فيه. وتكشف الدراسة عن إسهام الاستعارة التمثيلية في توضيح المفاهيم القرآنية وتعميق البعد الحجاجي للخطاب، بما يجعل التعبير القرآني أكثر قدرة على التأثير في بناء الوعي وترسيخ العقيدة.

تاريخ الارسال:

2025-10-27

تاريخ القبول:

2026-01-04

**الكلمات المفتاحية:**

- ✓ الخطاب القرآني
- ✓ - الاستعارة التمثيلية
- ✓ - الحجاج

*Abstract :*

*Article info*

**Keywords:**

✓ Qur'anic discourse – representational metaphor – argumentation

*This research examines the argumentative function of representative metaphor in the Qur'anic discourse, with a particular focus on Surat Al-Isra'. It highlights its role in transforming abstract meanings into vivid, sensory images that persuade and influence the audience. The study reveals that representative metaphor contributes to clarifying Qur'anic concepts and deepening the argumentative dimension of the discourse, thereby enhancing its power to shape awareness and strengthen faith.*

**مقدمة:**

يحفل الخطاب القرآني بتراكيب بلاغية وأنساق لغوية تستبطن مقاصد حجاجية تتجاوز حدود الإبلاغ إلى فضاء الإقناع والتأثير. ومن أبرز هذه التراكيب: **الاستعارة التمثيلية**، التي تتخذ صورةً رمزيةً مركبةً تُساق في هيئة مشهدٍ تمثيليٍّ يختزل معنىً مركزيًا يراد تمريره إلى المتلقي ضمن سياقٍ جدليٍّ أو توجيهيٍّ. وتتميز هذه الاستعارة في القرآن الكريم بقدرتها على اختزال الموقف، وشحنه بطاقة دلالية تعزز المقصد الشرعي وتعمق أثر الخطاب.

ومن بين سور القرآن الكريم التي توظف هذا اللون من المجاز بأسلوب محكم ودلالة حجاجية لافتة، تبرز **سورة الإسراء** باعتبارها نصًّا قرآنيًّا غنيًّا بالتصوير والرمز والمشهديات، بما يُبرز البُعد الجدلي والدعوي في آنٍ معًا. فهي تنقل القارئ بين مشاهد من الإسراء، والبعث، والصراع بين الحق والباطل، عبر استعارات تمثيلية تُرسخ المفاهيم العقدية وتدحض الحجج الباطلة بأسلوب فني بلاغي محكم.

ومن هنا، تنبع أهمية هذه الدراسة، إذ تروم استكشاف الأبعاد الحجاجية للاستعارة التمثيلية في هذه السورة الكريمة، من خلال الوقوف على وظائفها الإقناعية، وآليات بنائها التصويرية، وأثرها في ترسيخ المعنى ودعم مقصد الخطاب. وتسعى الدراسة إلى الإجابة عن السؤال المركزي الآتي:

**❖ كيف وظّف الخطاب القرآني في سورة الإسراء الاستعارة التمثيلية لتحقيق مقاصد حجاجية؟**

إن قصور الإمام الكامل بعبقرية اللغة الجاهلية يجعل من العسير إصدار حكم نهائي حول تفوق الأسلوب القرآني وسموّه على ما سبقه من نتاج لغوي وأدبي، إلا أنّ النص القرآني ذاته يقدم مؤشرات دقيقة على هذا السموّ من خلال تراكيبه وبيانه وإيقاعه الخاص. وتكتسب بعض الآيات أهمية بالغة من الناحية التاريخية واللغوية، إذ تُظهر بجلاء وعي القرآن بتفوّده الأسلوبي وعلوّ بيانه على معهود العرب في القول. ويُعلن النص القرآني هذا التفوق في صورة تحدٍّ صريح ومباشر لمعارضيه، مبرزًا بذلك بُعده الإعجازي الذي يتجاوز حدود الفصاحة المألوفة ليؤسس لمستوى جديد من الإبداع اللغوي في الثقافة العربية: (مالك, بن نبي, 1987، صفحة 189)

(وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) [البقرة: 23].

ولم تشر المصادر التاريخية إلى أن أحدًا من العرب قد استطاع مجازة هذا التحدي القرآني أو الردّ عليه ردًّا يرقى إلى مستواه البياني، الأمر الذي يدلّ على أنّ التحدي قد بقي قائمًا دون إجابة. ومن ثمّ يمكن الاستنتاج بأن الإعجاز الأدبي للقرآن الكريم قد تجاوز حدود القدرة التعبيرية في ذلك العصر، فغلب ببلاغته ونسقه اللغوي أفصح العرب وأقدرهم على القول، حتى غدا شاهدًا دائمًا على تفوق بيانه وفرادته الأسلوبية في تاريخ الأدب العربي.. (مالك, بن نبي, صفحة 189)

إن هذه الظاهرة اللغوية تُعدّ فريدة في مسار تطور اللغات الإنسانية، إذ لم تعرف العربية انتقالاً تدريجيًّا في مستوياتها التعبيرية أو تطوّرًا متدرجًا في بنيتها الأسلوبية، بل شهدت تحولًا حادًّا ومفاجئًا أشبه بانفجار لغوي وثقافي مباغت. فقد مثّلت الظاهرة القرآنية نقطة انعطاف حاسمة في تاريخ العربية، إذ نقلتها فجأة من مرحلة البيان القبلي القائم على الفطرة والجزالة إلى أفقٍ جديد من الدقة والعمق والإبداع التعبيري، في صورة لم يعرف لها التاريخ اللغوي مثيلًا من حيث الأثر والسرعة والامتداد.. (مالك, بن نبي, صفحة 191)

وعليه، يمكن القول إن اللغة العربية قد شهدت طفرة نوعية حاسمة انتقلت بها من الطور اللهجي القبلي إلى مرحلة اللغة الموحدة ذات النسق الفني المنظم، القدرة على التعبير عن الفكر الجديد ومفاهيم الحضارة الناشئة مع ظهور الإسلام. فقد استثمرت العربية رصيدها اللفظي الهائل وأعادته إلى الحياة في بناء تعبيرية جديد، تشكل بصورة مفاجئة وغير مألوفة في تاريخ اللغات. وقد أفضت هذه النقلة إلى إحداث قطيعة أدبية ولسانية واضحة بين العربية الجاهلية والعربية القرآنية، إذ غدت اللغة في ظل التأثير القرآني أداة فكرية وثقافية متكاملة، تنقل الرؤية الإسلامية الجديدة بأسلوب يجمع بين الجمالية والدقة والتأثير.

ومهما يكن وجه الرأي في هذه المسألة، فإن القضية اللغوية التي أثارها النص القرآني تظلّ جديرة بدراسة علمية معمقة، ترصد مظاهر الابتكار في معجمه وأصاليبه، وتبحث في طرائق توظيفه المتميزة للألفاظ، ولا سيما تلك التي ارتبطت بالمجالات العقدية والأخروية. فمثل هذه الدراسة يمكن أن تكشف عن الأبعاد الدلالية والجمالية للخطاب القرآني، وتفتح أمام علم التفسير آفاقاً أوسع لفهم تطوّر المفردة القرآنية واتساع طاقتها التعبيرية، بما يعين على إدراك امتداد الظاهرة القرآنية في بعدها اللغوي والبياني عبر العصور.. (مالك، بن نبي، صفحة 192)

ويفهم من القرآن الكريم ان المعجزة القرآنية اوى على هداية العقل البشري من المعجزات الحسية الأخرى، وهذا ما يظهر في رده على المعاندين الذين كانوا يطالبون الرسول صل الله عليه وسلم بالمعجزات الحسية، كما جاء في الآية: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا (90) أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيرًا (91) أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتِ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِيَنَا بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا (92) أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُفَيْكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا (93)﴾ [الاسراء الآية: 90-93]

فرد عليهم القرآن الكريم في سورة أخرى بقوله: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٥٠) أَوْلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٥١)﴾ [العنكبوت الآية: 50-51]

وفي قوله أيضا: ﴿وَمَا مَعْنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا (٥٩)﴾ [الاسراء الآية: 59]

إن تنوع الآيات والمشاهد القرآنية وتكاملها في البناء البياني والدلالي يشكل برهاناً قاطعاً على أن القرآن الكريم هو المعجزة الكبرى في ذاته، إذ يجمع بين الإعجاز اللغوي والتشريعي والبياني في منظومة واحدة متكاملة. ومن ثم، فإن من حجب بصره عن إدراك حقيقة هذا الإعجاز البياني والعقلي، فلن تهديه المعجزات الحسية الأخرى إلى الإيمان، لأن القرآن هو الحجة الباقية التي تخاطب العقل والوجدان معاً، وتكشف عن صدق الرسالة بطريق البرهان لا بطريق الحس وحده.. (بغدادى، صفحة 12)

إن القرآن الكريم يمتاز عن سائر معجزات الأنبياء السابقين بخصوصية جوهرية في طبيعته وأثره، فهو ليس معجزة مادية محدودة بزمن أو مكان، بل معجزة عقلية وروحية دائمة تمتد آثارها في الوعي الإنساني عبر العصور. فقد فاق القرآن جميع المعجزات السابقة من حيث عمق تأثيره في النفوس، واتساع انتشاره بين الأمم، واستمرارية حضوره في الحياة البشرية باعتباره مصدر الهداية والتبليغ في كل زمان ومكان. ومن ثم، فإن هذا الامتداد الزماني والمكاني، مقرونًا بقوة بيانه وشمول خطابه، يُبرهن على أن الإعجاز القرآني يتجاوز حدود الحس إلى آفاق الفكر والروح، مما يجعله أعظم المعجزات وأدومها أثرًا في التاريخ الإنساني.. (بغدادى، صفحة 22)

وبما أن القرآن الكريم معجزة لغوية في المقام الأول، فإن إعجازه لا يقتصر على ما تضمّنه من أخبار الغيب، أو ما أورده من أنباء الأمم السابقة، ولا على ما اشتمل عليه من تشريعات خالدة ومثلٍ عليا وقيم إنسانية سامية؛ بل يمتد إلى بلاغته الفريدة الخارقة للعادة، تلك البلاغة التي تجلت في نظمه المتفرد، وتناسق تراكيبه، ودقة دلالاته، وجمال إيقاعه. فالإعجاز القرآني يقوم على تضافر المعنى والمبنى في وحدة فنية متكاملة، تُدهش العقول وتسمو بالذوق اللغوي إلى مرتبة لا تُجارى، مما يجعل بيانه شاهداً دائماً على مصدره الإلهي وسمو مقاصده.. (بغدادى، صفحة 257)

لقد تنوّعت آراء العلماء في تحديد مواضع الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، واختلفت مناهجهم في تفسير سرّ تفوّقه البياني، فذهب فريق منهم إلى أنّ الإعجاز يتجلّى في ثلاثة أوجه رئيسة هي فصاحة الألفاظ، وصحة المعاني، وحسن النظم الذي يجمع بينهما في أرقى صورة من صور التأليف، وقد عبّر الإمام الخطّابي عن هذا الاتجاه مؤكداً أن النظم هو المظهر الأبرز لهذا الإعجاز. أمّا الإمام عبد القاهر الجرجاني فقد جعل جوهر الإعجاز قائماً على النظم وحده، إذ رأى أن سرّ البيان القرآني لا يكمن في المفردات المنعزلة ولا في المعاني المجردة، ولا في الصور البلاغية في ذاتها، بل في الطريقة التي تنتظم بها الألفاظ والمعاني على وفق مقاصد النحو ودقائقه، بحيث يُؤتى بالمعنى من الجهة الأبلغ لتأديته، فيوضع كل لفظ في موضعه الذي يقتضيه السياق. في حين وسّع بعض البلاغيين مفهوم الإعجاز البلاغي ليشمل وجوهاً عديدة من أبواب البلاغة كالإيجاز، والتشبيه، والاستعارة، والتصوير الفني، ومن أبرز من تبنت هذا الاتجاه أبو القاسم البغدادي الذي حصر هذه الوجوه في عشرة مجالات بلاغية رئيسة في كتابه المعجزة القرآنية. وهكذا يتبيّن أن اختلاف هذه الاتجاهات يعكس ثراء الدرس البلاغي في محاولة الكشف عن سرّ الإعجاز القرآني وعمق تأثيره في البيان العربي. (بغدادي، صفحة 158).

وإذا انتقلنا إلى ميدان الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، فإننا نصل إلى جوهر البيان وأساسه، المتمثّل في الاستعارة، التي تُعدّ من أرقى أساليب التصوير البياني. فالاستعارة في جوهرها تشبيه حُذف أحد طرفيه اعتماداً على ما يدلّ عليه الطرف الآخر، وذلك للمبالغة في إبراز شدة المشابهة بينهما، كما في قولك: لقيتُ أسداً، تريد بذلك رجلاً شجاعاً. غير أنّ الاستعارة القرآنية تمتاز بخصائص فريدة تجعلها متميزة عن الاستعارة في الكلام البشري، إذ تتجاوز حدود الزخرفة اللفظية إلى أداء وظيفة فكرية وروحية عميقة، تُسهم في بناء المعنى وإيضاح المقصد، وتكثّف الدلالة في صورة رمزية تجمع بين الجمال الفني والدقة التعبيرية، مما يجعلها أحد أبرز مظاهر الإعجاز البياني في النص القرآني.

### 1. غرابة التركيب

مثل قوله تعالى ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاسْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ قال الزمخشري في بيان وجه الاستعارة في قوله تعالى: ﴿وَاسْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ إنّ التعبير قد صوّر فيه الشيب بصورة شواظ النار في بياضه وسطوعه وانتشاره في الشعر، كما تشتعل النار في الوقود حتى تغمره وتغلب عليه. فجعل الشيب بمنزلة النار في اشتعالها وامتدادها، ثم صاغ هذا التشبيه في قالب الاستعارة، فأسند فعل الاشتعال إلى الرأس الذي هو موضع الشعر، وجعل الشيب تمييزاً يوضّح نوع الاشتعال. ولم يحتج إلى إضافة الرأس إلى صاحبه – أي زكريا عليه السلام – لأن المقام والسياق كافيان في الدلالة عليه. وبهذا جاءت الجملة في غاية الفصاحة، إذ جمعت بين دقة التصوير وجمال النظم وعمق الدلالة، فشهدت للقرآن ببلاغة لا تُجارى ولا تُبلغ. (بدر الدين، صفحة 269)

### 2. الإيجاز فمن علامات الإعجاز هو الإنجاز

### 3. ادراج المعاني الذهنية في صورة محسوسة

4. يقوم حُسن البيان على قدرة المتكلم على إيصال المعنى إلى السامع بوضوح وتأثير، فأدنى مراتبه أن يفهم عنه ما يريد قوله، وأعلىها أن ينفذ إلى نفس المتلقي فيؤثر فيها ويبلغ مراده منها، وهو ما يُشكّل جوهر الحجاج وغاية الإقناع في الخطاب. وقد يبلغ المتكلم البليغ درجة من التأثير، غير أن أثره يظلّ محدوداً بحدود التجربة البشرية، أمّا القرآن الكريم فبيانه يتجاوز كل بيان بشري، إذ يمتلك طاقة تأثيرية غير محدودة تمتدّ عبر الزمان والمكان، فتخاطب العقل والروح معاً، وتحدث في النفس من التحوّل والإيمان ما لا تبلغه الكلمات البشرية. ومن ثمّ، فإنّ البيان القرآني في نظر بلقاسم هو أرفع مراتب البيان وأعظمها تأثيراً، لأنه يجمع بين الإقناع العقلي والتأثير الوجداني في أسْمَى صور البلاغة. (بدر، صفحة 272)

5. تُعدّ غرائب التركيب من أبرز الخصائص الأسلوبية التي تفرّد بها القرآن الكريم، إذ تميّز خطابه بتركيب لغوية ذات طابع خاص يباين سائر أنماط الكلام البشري في نظمه وبنائه ودقّة انسجامه. فالجملة القرآنية تمتلك من الجمال والاستقلال الفني ما يجعلها متميزة بنفسها، حتى إذا أُدرجت ضمن أيّ كلام آخر برزت عليه وبدت فيه متألّفة كالدرّة في سلك العقد. ويُعدّ هذا الجانب من أغرب وأدقّ مظاهر الإعجاز البياني، إذ يجمع بين التفرّد التركيبي والانسجام الصوتي والدلالي، فيكشف عن روح لغوية خاصة بالقرآن لا تُشبه أساليب البشر ولا تُقاس

بها، مما يجعل هذا الوجه من البيان أحد أهمّ العلامات الفارقة التي تميّز النصّ القرآني عن الكلام الإنساني. (بدور، الصفحات 274-275)

6. الفاصلة تُعدّ الفاصلة القرآنية من الظواهر الأسلوبية البارزة التي تمنح النصّ القرآني إيقاعه الخاص ونغمته الفريدة، وهي الكلمة أو الجملة التي تقع في نهاية الآية، وتشبه من حيث موقعها في الكلام القافية في الشعر القرينة في السجع. وتؤدي الفاصلة وظيفةً جماليةً وبيانيةً في آنٍ واحد؛ فهي تحسّن إيقاع الخطاب وتكسبه انسجامًا موسيقيًا يطرب السمع ويشدّ الانتباه، كما تُهيئُ ذهن المتلقي لتلقّي المعنى الذي يليها، فيتجاوب السامع مع نعمة القول ومعناه معًا. وتتميّز بلاغة الفاصلة القرآنية بقدرتها على الجمع بين الجرس الصوتي والمعنى الدلالي، بحيث لا تكون مجرد تزيين لفظي، بل جزءًا أصيلًا من البنية البيانية للآية يخدم مقاصدها التعبيرية والإيقاعية في آنٍ واحد.

## 2. التصوير الفني في القرآن.

تتنوّع طرائق التعبير عن المعاني في اللغة إلى منهجين أساسيين، يختلف كلّ منهما في طبيعة أدائه ووسيلة تأثيره في المتلقي.

فالأولى هي الطريقة التجريدية، وهي التي يُعبّر فيها عن المعاني تعبيرًا ذهنيًا مجردًا، يعتمد على المفاهيم العقلية البحتة دون أن يُستعان بصور حسية أو مشاهد ملموسة، فيبقى الخطاب فيها أقرب إلى الفكر والتأمل العقلي.

أما الثانية فهي الطريقة التصويرية، وهي أرقى من السابقة من حيث قدرتها على التأثير والإيضاح، إذ يُعبّر فيها عن المعاني بصور حسية مجسّدة تجعل القارئ أو السامع يُدرك الفكرة وكأنها مشهد يتحرك أمام عينيه. وتتميّز هذه الطريقة بأنها تشرك الحواس مع العقل، فيغدو المعنى حيًا نابضًا بالإيحاء والجمال، وهو الأسلوب الذي بلغ في القرآن الكريم ذروته، فجعل من الصورة وسيلة للتأثير والإقناع معًا. (بغدادى، صفحة 303)

وقد فرّق سيد قطب بين هاتين الطريقتين في التعبير تقريبًا دقيقًا، إذ يرى أن المعاني في الطريقة التجريدية تخاطب العقل والوعي مباشرة، فتصل إليهما خالية من ظلالها الجمالية وانفعالاتها الشعورية، فهي معانٍ مجردة تدركها الذهن دون مشاركة الوجدان. أما في الطريقة التصويرية، فإن المعاني تخاطب الحسّ والوجدان معًا، فتنسلل إلى النفس من منافذ متعددة؛ من الحواس والتخييل، ومن الإحساس المتفاعل مع الصور، ومن الوجدان المتأثر بالأصداق والأنوار، فلا يكون الذهن فيها سوى منفذ واحد من بين منافذها الكثيرة إلى النفس، لا المنفذ الوحيد. وبهذا يبرز التصوير الفني في البيان القرآني عند سيد قطب بوصفه أرقى أشكال التعبير، لأنه يجمع بين جمال الحسّ وعمق الفكرة في آنٍ واحد. (سيد قطب، صفحة 175)

لم يكن مصطلح التصوير الفني شائعًا عند البلاغيين والنقاد القدماء، إذ كانوا يستعملون بدلًا منه مصطلحات مثل التشبيه والاستعارة والتمثيل والمجاز، وهي المصطلحات التي تدور في فلك الفكرة نفسها، أي تحويل المعاني الذهنية إلى صور حسية محسوسة. غير أن غياب المصطلح لا يعني غياب المفهوم ذاته، فقد أدرك بعض العلماء جوهر هذا الفن وتحدثوا عنه بدقة، كما فعل الباقلاني حين قال: "وتصوير ما في النفس وتشكيل ما في القلب حتى تعلمه وكأنك مشاهده، وإن كان يقع بالإشارة ويحصل بالدلالة والإمارة كما يحصل بالنطق الصريح والقول الفصيح؛ فإن في الإشارات أيضًا مراتب، وللأسن منازل، ورب وصفٍ يصور لك الموصوف كما هو على وجهه، لا يخلق فيه، ورب وصفٍ يبطل عليه ويتعداه، ورب وصفٍ يقصر عنه".

ويكشف هذا النص عن وعي الباقلاني العميق بمفهوم التصوير الفني، فهو يرى أن البيان البليغ هو الذي ينقل المعنى من عالم الذهن إلى عالم الحسّ حتى يتلقاه السامع أو القارئ كما لو كان يراه رأي العين، فيعيش المعنى لا باعتباره فكرة مجردة بل صورة نابضة بالحياة. (أبو بكر، صفحة 304)

ومثل ذلك ما قاله السيوطي في بيان الحكّم البلاغية للاستعارة، إذ عدّ من أهمها إظهار الخفي، مبيّنًا أن الاستعارة تُحوّل المعنى المجرد إلى صورة محسوسة، فيتمثل ما ليس بمرئي كأنه مرئي، فينتقل المتلقي من حدّ السماع إلى حدّ العيان، وهذا هو أبلغ مراتب البيان وأقواها تأثيرًا في النفس، لأنه يجعل المعنى يُدرك بالبصر بعد أن كان يُدرك بالبصيرة، فيغدو أكثر وضوحًا ووقعًا في وجدان السامع. (جلال الدين، صفحة 44)

وكذلك الألوسي، إذ أوضح أثر التصوير في تبسيط المعاني العقلية المجردة، فقال: وربما تكون المعاني التي يُراد تفهيمها معقولةً صرفة، فينازع الوهم العقل في إدراكها حتى يحجبها عن اللحوق بما في العقل، فبضرب الأمثال تُبرز في معرض المحسوس، فيساعد الوهم العقل على إدراكها، وهناك تتجلى غياهب الأوهام ويرتفع شغب الخصام.

وهذا القول يُبرز بجلاء الوظيفة التوفيقية للتصوير الفني في القرآن الكريم، فهو لا يخاطب العقل وحده ولا العاطفة وحدها، بل يُوفق بينهما عبر تحويل المعاني المعقولة إلى صور محسوسة، تُقرب البعيد، وتُوضح الغامض، وتُزيل التناقض بين الوهم والعقل، فتجعل المعنى العقلي واضحاً في النفس وضوح الصورة في العين. (أبو الثناء، صفحة 163).

### 3. التصوير الفني في القرآن الكريم

ويُعدّ السيد قطب من أبرز من تناول موضوع التصوير الفني في القرآن الكريم بالبحث والدراسة، إذ رأى فيه السمة الأوضح للأسلوب القرآني وأعظم مظاهر إعجازه البياني. فقد بيّن في كتابه الشهير «التصوير الفني في القرآن الكريم» أن طريقة التعبير في القرآن تقوم على التصوير الحي المتحرك لا على التجريد الذهني الجامد؛ فالمعاني القرآنية لا تُعرض عرضاً عقلياً بارداً، بل تتجسد في صور فنية نابضة بالحياة، تنطق بالحركة، وتفيض بالإحساس، حتى ليكاد القارئ يرى الأحداث والمشاهد كأنها تقع أمام عينيه. وهكذا جعل القرآن من الكلمة لوحة ناطقة ومن المعنى مشهداً محسوساً يلامس وجدان الإنسان قبل عقله. (بغداد، صفحة 304)

يرى السيد قطب أن التصوير الفني هو الأداة الأبرز والأحب في أسلوب القرآن الكريم، فهو وسيلته المفضلة للتعبير عن المعاني والمشاعر والأحداث. إذ يعتمد القرآن، كما يقول، على الصورة المحسوسة المتخيلة ليُعبر عن المعنى الذهني، وعن الحالة النفسية، وعن الحدث الواقعي والمشهد المنظور، بل وعن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية ذاتها. ويرتقي هذا التصوير في القرآن إلى درجة الإحياء، فيمنح الصورة حياةً شاخصة وحركةً متجددة؛ فالمعنى الذهني يتحول إلى هيئة مرئية أو حركة نابضة، والحالة النفسية تصير لوحة ناطقة، والنموذج الإنساني يبدو ككائن حي يتحرك فيه المشاعر والانفعالات.

أما الحوادث والقصاص والمشاهد، فيصورها القرآن حاضرة نابضة بالحياة، تفيض بالحركة والحيوية، فإذا أُضيف إليها الحوار القرآني اكتملت لها كل عناصر الفن والتخييل. فيجد السامع نفسه وقد انتقل من مقام الاستماع إلى مقام المشاهدة، وكأنه يرى الحوادث رأي العين على مسرحها الأول. تتعاقب المناظر وتتجدد الحركات، فينسى المتلقي أنه أمام نصٍ مقروء، ويشعر بأنه أمام مشهد حي يتحرك أمامه، شخصياته تمشي وتغدو، وانفعالاتها تتجسد في ملامحها، وألفاظها تنبض بالأحاسيس. فهنا - كما يقول سيد قطب - ليست الحياة حكاية تُروى، بل هي الحياة ذاتها تتجسد وتنطق (سيد قطب، صفحة 34).

ومن الذين تناولوا موضوع التصوير الفني في القرآن الكريم أيضاً الدكتور سعيد رمضان البوطي، الذي أكد هو الآخر أن التصوير يمثل الأداة المفضلة في الأسلوب القرآني، وعده من أبرز مظاهر الإعجاز البياني في كتاب الله. فقد أوضح في كتابه «من روائع القرآن» أن القرآن الكريم لا يخاطب العقل وحده كما هو شأن سائر أنواع الكلام، بل يخاطب الإنسان بكل كيانه: عقله وخياله وشعوره معاً. وهو في هذا يتبع نسقاً مطّرداً ومنهجاً ثابتاً يميّزه عن أي كلام بشري، إذ يربط بين الفكر والإحساس، وبين الإدراك العقلي والتصوير الوجداني، فيتغلغل في النفس من منافذ متعددة.

فالقرآن - كما يبين البوطي - يمارس هذا الأسلوب التصويري في كل مقاماته: سواء أكان يأمر أو ينهى، أو يبشر أو ينذر، أو يقصّ الأخبار، أو يشرّع الأحكام، أو يحدث عن الغيب، أو يحذر من العذاب. وفي كل ذلك يخلق صورة حية نابضة تُترجم المعنى العقلي إلى مشهد محسوس، وتجعل القارئ يعيش الموقف بكل أبعاده الوجدانية والفكرية في آنٍ واحد، مما يضفي على الخطاب القرآني قوة تأثير روحية وعقلية فريدة لا يضاهيها أي نص آخر. (البوطي، صفحة 199)

وقد ارجع سر إعجازه في ذلك إلى حقيقتين اثنتين:

الأولى أن المعاني في القرآن ليست مجردات اعتبارية لا يدركها إلا العقل وإنما هي صور حية تمر بخيال القارئ ويلمسها إحساسه وتكاد أن تراها عينه.

الثانية انا الألفاظ في القرآن ليست تلك الحروف التي تدل إلا على المعنى بل هي ينبوع يفيض بالصور والاحاسيس والألوان.(البوطي، صفحة 200)

وفي ضوء ما تقدم، يتضح أن جوهر الإعجاز والإقناع في الخطاب القرآني يرتكز - في جانب كبير منه - على التصوير الفني، إذ يمثل هذا التصوير أداةً بلاغيةً عليا تجمع بين الجمال الفني والعمق الحجاجي. والمقصود به هنا الصورة الفنية التي تتجلى في التشبيه، والاستعارة، والتمثيل، والمجاز، غير أن محور اهتمام هذه الدراسة هو التصوير الفني بالاستعارة التمثيلية، لما تحمله من طاقةٍ إيحائيةٍ وحجاجيةٍ قادرة على التأثير في المتلقي وإقناعه، وخاصة في سورة الإسراء التي تُعد من أبرز السور توظيفاً لهذا اللون من المجاز.

تهدف هذه الورقة البحثية إلى استقصاء الأبعاد الحجاجية والإقناعية للصورة الاستعارية التمثيلية في الخطاب القرآني، مع التركيز على سورة الإسراء، إذ عمد القرآن الكريم فيها إلى توظيف هذه التقنية البلاغية لتحقيق عنصرَي الإقناع والتأثير في نفوس المخاطبين، بما يحدث تحوُّلاً في معتقداتهم وأفكارهم وسلوكهم. ومن هنا جاءت أهمية هذا البحث الذي يسعى إلى الكشف عن الوظيفة الحجاجية لهذه الصور الاستعارية، ودورها في تدعيم المقاصد الكلية للخطاب القرآني.

إن ما يميز الاستعارة التمثيلية في القرآن الكريم هو قدرتها على نقل المعنى العقلي المجرد إلى مشهدٍ حسيٍّ ملموس، يجعل المتلقي يتصور الموقف كأنه يراه رأي العين، وهو ما يعمق درجة الإقناع والتسليم والتصديق لديه. وقد أولت الدراسات الحجاجية المعاصرة عنايةً فائقةً بهذا اللون من الاستعارة، معتبرةً إياها أرقى درجات الحجاج لما تمتلكه من قدرة على بناء صورٍ ذهنيةٍ مركبةٍ تجمع بين الإقناع العقلي والتأثير الوجداني.

أما الاستعارة الإفرادية، فتكمن قوتها الحجاجية في قدرتها على إثارة ذهن المتلقي من خلال الربط بين مجالين متباعدين، مما يدفعه إلى التأمل والكشف عن العلاقة الخفية بين طرفي الصورة، وهو جهدٌ ذهنيٌّ يرسخ الفكرة في نفسه ويزيد من قوة تأثيرها. فهذه الكثافة الدلالية التي تتطوي عليها الاستعارة تتجاوز حدود اللغة المباشرة، لنتفتح أفقاً دلاليًا أوسع وأعمق.

ويقوم الخطاب القرآني على منظومة بلاغية متكاملة تُسهم في تعزيز فعاليته الإقناعية، تجمع بين الصورة الاستعارية التمثيلية وسائر الأدوات البلاغية الأخرى كـ النعت، والتوكيد، والاستفهام، والأمر، والنداء، ومراتب التفضيل، إلى جانب خاصية الإجمال يتبعه التفصيل. هذا التنوع الأسلوبي أسهم في شحذ الأذهان واستثارة الفكر لدى المتلقين، فكان من أبلغ مظاهر الإعجاز الحجاجي والبياني في القرآن الكريم. وقد جرى اختيار النص القرآني بوصفه نموذجاً حجاجياً بامتياز، إذ يعمد إلى عرض الحجج، وسوق البراهين العقلية، والدلائل الكونية، والشواهد الفطرية التي تؤيد مضمونه، وتحمل كل ذي عقل سليم على التسليم، والإذعان، والتصديق بما يُقدّمه من حقائق كونية وتشريعية.

وقد جاء توظيف الخطاب القرآني للحجاج بوصفه بديلاً عن العنف في نظرية البرهان أو الحجاجي ذلك ان الإقناع يكون باعتماد احدى وسيلتين بحسب رؤية بيريلمانوتيكيا العنف أو الخطاب .(صولة، صفحة 301) فاختر القرآن وسيلة الخطاب والحوار العقلي بغرض نبذ العنف والإكراه في شأن الإيمان ويظهر هذا في آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس الآية: 99]

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ (21) ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾ (22) [الغاشية الآية 21 22] وقوله عز وجل: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ طَعْدَ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة، الآية 256].

1. كيف أدت الصورة الاستعارية التمثيلية دورها الحجاجي في الخطاب القرآني وخاصة في سورة الإسراء.

2. ما هي المقاصد الحجاجية التي دعمتها الصورة الاستعارية التمثيلية في الخطاب القرآني؟

3. ما هي الآليات اللغوية والبلاغية التي وظفها الخطاب القرآني لتدعيم القوة الحجاجية الإقناعية الصورة الاستعارية التمثيلية؟

كل هذه الأسئلة وغيرها سنأتي للإجابة عنها بالتفصيل من خلال الأمثلة التالية من سورة الإسراء.

## "حجاجية الاستعارة التمثيلية في الخطاب القرآني سورة الاسراء "أنموذجا"

في قوله عز وجل: (وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا) [الإسراء الآية 29]

يوظف الخطاب القرآني البناء الاستعاري التمثيلي في هذا الموضع للتعبير عن المقصد الحجاجي التوجيهي المتمثل في الدعوة إلى الاعتدال في الإنفاق، والنأي عن طرفي البخل والتبذير، كما يظهر في قوله تعالى: «ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط» [الإسراء: 29]. فالنهي في عبارتي «لا تجعل» و\*«لا تبسطها» يحمل بعداً توجيهياً حجاجياً، يروم تربية المتلقي على مبدأ الوسطية وضبط السلوك الاقتصادي والاجتماعي بما ينسجم مع مقاصد الشريعة في حفظ المال والنفس والمجتمع.

وقد قدّم الخطاب القرآني تصويراً فنياً بليغاً لحالي البخل والمسرف عبر استعارة تمثيلية تجمع بين الحسي والمجرد؛ فشبه حال البخل الذي يمنع ماله ويكفّ يده عن العطاء بالأسير الذي غلّت يده إلى عنقه، أي شدّت بغيره من حديد أو جلد، فصار عاجزاً عن الحركة أو التصرف. وهذه الصورة الاستعارية تمثل مشهداً حسيّاً مكثفاً يختزل معنى البخل في هيئة ملموسة تُجسد تعطل مصدر البذل والعطاء، إذ إن اليد – أداة الكرم والعطاء – قد شلّت بالغلّ، فتعطلت نفعها، تماماً كما يتعطل الأسير عن الفعل والحركة.

بهذا التشكيل الفني، ينقل القرآن المعنى الأخلاقي المجرد إلى مشهد بصري مؤثر يثير في النفس شعور النفور من البخل والحرص، ويبرز في المقابل جمال التوازن والاعتدال في الإنفاق. ومن خلال هذا التصوير الاستعاري التمثيلي، يتحقق المقصد الحجاجي للخطاب التوجيهي في أرقى صور البلاغية، إذ يُقع المتلقي بالعقل ويؤثر فيه بالوجدان في آن واحد. (ابن عاشور، صفحة 15، 85)

كما صور الخطاب القرآني هيئة المسرف بصورة مقابلة لهيئة البخل، إذ جعله في مشهد تمثيلي فني يظهر فيه كمن يبسط يده غاية البسط حتى لا يبقى في كفه شيئاً، ولا يدخر ما ينفعه. فجاءت الصورة لتجسد المبالغة في الإنفاق والإفراط في البذل حتى حدّ التبديد، في مقابل تقييد اليد وغلّها في حالة البخل.

وتتجلى الطاقة الإقناعية في هاتين الصورتين الاستعاريّتين التمثيليتين من خلال نقلهما المعنى الأخلاقي المجرد – أي البخل والتبذير – إلى صورتين حسيّتين نابضتين بالحركة، تُرى فيهما هيئة الإنسان المقيد عن العطاء، وهيئة المفرط الذي يبسط يده حتى لا يبقى فيها شيء. فصورة البخل الذي شدّت يده إلى عنقه تُبرز شدة حرصه وتعلقه بالمال حتى صار أسيراً له، لا يملك التصرف فيه. بينما صورة المسرف الذي بسط يده أقصى البسط تعبّر عن تفریطه في ماله وانعدام حكمته في التصرف، حتى صار كمن يبعثر ما في يده دون وعي أو تدبير.

وهكذا يوظف القرآن الكريم الاستعارة التمثيلية لتصوير حالتين متناقضتين في مشهدين متقابلين، فيرسم أمام المتلقي لوحة بصرية متكاملة تفضي إلى ترسيخ مبدأ الوسطية في الإنفاق، وهو المقصد الحجاجي الرئيس في هذا السياق. فبهذا التصوير الحسي المؤثر، يجمع الخطاب القرآني بين جمال البيان وعمق الإقناع، فيغدو التوجيه الأخلاقي تجربة شعورية يعيشها المتلقي، لا مجرد موعظة تُلقى على سمعه، وقد مثلت هذان الصورتان الاستعاريتان قوه داعمه للمقصد الحجاجي المتمثل في تنفير المؤمنين من حالي البخل والمبذر ليأخذ الحجاج من خلالهما المسار التالي:

الدعوى (النتيجة)	الحجة (المقدمة)
تنفير المؤمنين من حالتَي البخل والتبذير	لا تكن بخيلاً ممسكاً عن الإنفاق كمن غلّت يده إلى عنقه ولا تكن مسرفاً كمن يبسط يده غاية البسط

وبذلك حققت هذان الصورتان غاية الحجاج المتمثلة في تقويم السلوك أو تعديله من خلال الابتعاد عن صفتَي البخل والتبذير والالتزام بالوسط والاعتدال في الإنفاق .

كما أسهمت اذان الصورتين في تدعيم المقاصد الحجاجية القرآنية المتمثلة في توجيه المخاطبين نحو الاقتصاد والتوسط في الإنفاق والبذل والابتعاد عن الإسراف والتبذير إذ يقول عز وجل واتي ذو القربى حقه والمسكين الإسراء الآية 26.

ثانياً في قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (23) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء الآية 23-24]

وقد عبّر الخطاب القرآني عن هذا المقصد الحجاجي التوجيهي في قوله تعالى: (واخفض لهما جناح الذل من الرحمة) [الإسراء: 24]،

وهو أمرٌ موجّه إلى المؤمنين بالتواضع لوالديهم رحمةً وإشفاقاً عند بلوغهما الكبر. وقد جاء هذا التوجيه في صورة استعارية تمثيلية بديعة تجسد معنى الرحمة والبر في هيئة محسوسة مأخوذة من عالم الطير، إذ شبّه حال الابن حين يتذلل لوالديه ويحنو عليهما بحال الطائر حين يخفض جناحيه.

فكما أن الطائر يخفض جناحيه خضوعاً أو حذراً من طائر أقوى منه، أو حناناً على فراخه حين يضمها تحت جناحيه رعايةً وعطفاً، كذلك يُطلب من الابن أن يخضع لوالديه برفقٍ ورحمة، لا عن ضعفٍ أو قهرٍ، بل عن حبٍّ وإجلالٍ وإحسان. فالاستعارة هنا تحوّل المعنى الأخلاقي المجرد إلى مشهدٍ حسيٍّ مؤثر يجمع بين التذلل الرفيق والرعاية الحانية، مما يجعل المتلقي يعيش الصورة بوجوده لا بعقله فحسب.

ومن خلال هذا التصوير الاستعاري التمثيلي، يُبرز الخطاب القرآني الوظيفة الحجاجية للبيان الفني، إذ يقنع المخاطب بجمال المعنى قبل أن يأسره بمنطقه العقلي، فيغرس في النفس قيمة البرّ والتواضع للوالدين عبر مشهدٍ رمزيٍّ نابضٍ بالعاطفة والرحمة، يُعمّق الأثر الإيماني ويزيد من فاعلية الإقناع والتأثير في المتلقي. (ابن عاشور، الصفحات 70/15-71)

فاستعاره الخطاب التركيب خفض الجناحي الدال على الحال للمشبهة بها لحال المشبه تواضع الابن لوالديه والتذلل لهما وحذف المشبه على سبيل الاستعارة التمثيلية وقد شاعت هذه التمثيلية حتى صارت كل مثل التواضع واللين في المعاملة وضد ذلك رفع الجناح تمثيل للتكبر والجفاء والشده. (ابن عاشور، صفحة 83/15)

تتجلى القوة الحجاجية والإقناعية في هذه الصورة الاستعارية القرآنية في تمثيلها المعنى الذهني المجرد – وهو التواضع والتذلل للوالدين – في مشهدٍ حسيٍّ مرئيٍّ يمكن للمخاطبين تصوّره بوضوح، ماثلاً أمام أعينهم في هيئة الطائر الذي يخفض جناحيه. فقد أسهم هذا التمثيل البصري في توضيح المعنى الحجاجي وتقريبه من الأذهان، إذ جعل المعنى العقلي يتحوّل إلى صورة ملموسة تؤثر في الحسّ والوجدان معاً.

وقد أوضح عبد القاهر الجرجاني هذه القيمة الإقناعية للتصوير البياني في قوله:

«ومعلومٌ أن العلم الأوّل أتى النفس من طريق الحواسّ والطباع، ثم من جهة النظر والرؤية، فهو إذاً أمسُّ بها رجماً، وأقوى لديها مما أحدث، وأقدم لها صُحبة، وأكد عندها حُرمة. فإذا نقلتها عن المدرك بالعقل المحض وبالفكرة في القلب إلى ما يُدرك بالحواسّ أو يُعلم بالطبع وعلى حدّ الضرورة، فأنت كمن يتوسّل إلى الغريب والجديد الصُحبة بالحبيب القديم.»

فمن خلال هذا التحليل البياني، يتبيّن أن نقل المعنى العقلي إلى مجال الحسّ والتجسيد يضاعف من أثره الإقناعي في المتلقي، لأن الصورة الحسية أقرب إلى النفس وأثبت في الذاكرة، وأقدر على تحريك العاطفة والمشاركة الوجدانية. وهكذا استطاع القرآن الكريم أن يوظّف الاستعارة التمثيلية في قوله تعالى: «واخفض لهما جناح الذل من الرحمة»، لتجعل المعنى الأخلاقي التربوي حياً نابضاً بالحياة، يجمع بين جمال البيان وقوة الحجّة في آن واحد. (عبد القاهر، صفحة 122)

كما يظهر البعد الحجاجي الإقناعي في هذه الصورة الاستعارية من خلال قوة حضور المعنى الحجاجي المتمثل في التواضع واللين في المعاملة داخل الهيئة الحسية للحامل الممثل به.

فمشهد خفض الطائر لجناحيه يجسد أقصى درجات التذلل والرفق والحنو، سواء أكان ذلك خشيةً من طائرٍ أقوى منه فيخفض جناحه انقواءً وخضوعاً، أم حناناً على فراخه حين يضمها إليه قصد الرعاية والعناية.

وبذلك، ينتقل المعنى المجرد (التواضع للأبوين) إلى صورة محسوسة نابضة بالحياة، فيدركها المخاطب بصورة ذهنية أوضح وأقوى تأثيراً. ويسهم هذا التجسيد التصويري في تعميق الإقناع الحجاجي؛ إذ يجعل التواضع للأبوين فعلاً مشهدياً مرئياً لا مجرد فكرة عقلية، بما يرسّخ في الوجدان ضرورة بلوغ التواضع غايته القصوى، حتى يصير خضوعاً تاماً وذلاً محموداً نابغاً من الرحمة والبرّ.

## "حجاجية الاستعارة التمثيلية في الخطاب القرآني سورة الإسراء" أنموذجا

الدعوى (النتيجة)	الحجة (المقدمة)
توجيه المؤمنين نحو الاحسان الى الوالدين بالتواضع والتذلل لهما	حال الابن حين يتواضع لوالديه كحال الطائر حين يخفض جناحه

وهنا عدل الخطاب القرآني عن التعبير بالحقيقة وبالاستعارة الإفرادية الى التعبير بالاستعارة التمثيلية بوصفها الاقوى حجاجا اذ يقع في اعلى مراتب درجات السلم الحجاجي كما هو موضح في الشكل التالي:

توجيه المؤمنين نحو الاحسان الى الوالدين بالتواضع والتذلل لهما

❖ حال الابن في التواضع لوالديه استعاره تمثيلية

❖ حال الطائر حين يخفض جناحيه تعبير حقيقي

ومن خلال ما تقدم من البحثين النظري والتطبيقي حول الخطاب القرآني، وبخاصة في سورة الإسراء، يمكن استخلاص النتائج الآتية:

أولاً، تبين أن الصورة الاستعارية التمثيلية في الخطاب القرآني تؤدي وظيفة حجاجية إقناعية بامتياز، وذلك من خلال توظيفها في مجرى الحجاج القرآني توظيفاً دقيقاً وواعياً يخدم المقاصد البلاغية والإقناعية للنص.

ثانياً، إن الاستعارة التمثيلية في الخطاب القرآني قد وُظِّفت في أعلى مراتب السُّلم الحجاجي، لما تمتاز به من قدرة على تجسيد المعاني العقلية المجردة في صور حسية مشهودة، مما يجعلها أداة فعّالة في الإقناع والتأثير، إذ تسهم في إذعان المتلقي وتسليمه للمعنى القرآني بما تحمله من قوة إيحائية وتمثيلية.

ثالثاً، أظهر التحليل أن تعدد المقاصد الحجاجية التي تخدمها الاستعارة التمثيلية في الخطاب القرآني يتسق مع التنوع في أغراض الخطاب نفسه؛ فالخطاب الموجّه إلى المؤمنين يهدف إلى ترسيخ الإيمان في نفوسهم، وحثهم على الالتزام بتعاليم الدين رجاء رضا الله ونعيم الجنة، بينما الخطاب الموجّه إلى المشركين يعتمد أسلوب الترهيب والترغيب، مقروناً بالأدلة والبراهين العقلية والكونية والفطرية المؤيدة لصدق الرسالة الإسلامية.

أما بقية الفئات المخاطبة، فقد اقتصر الخطاب الحجاجي فيها على وصف حالهم وإنذارهم سوء العقاب، تحقيقاً للغرض البلاغي القرآني المتمثل في الهداية والبيان والإنذار.

كما وُظِّفت إليه البناء الاستعاري التمثيلي في حجاج المؤمنين بغرض التعبير عن المقاصد الحجاجية التالية:

- الحث على الانفاق في سبيل الله
- تحذير المؤمنين من ابطال صداقاتهم بالمن والاذى
- تنفير المؤمنين من حالي الشحيح والمبذر
- توجيه المؤمنين الى اتباع امر الله ورسوله
- التحذير من عداوة ابليس
- وقد اورد الخطاب القرآني بتقنيه الاستعارة التمثيلية في مجرى حجاج الكافرين لإفادة المقاصد الحجاجية التالية:

- تصوير عظمه القدرة الإلهية
- الاستهزاء بالكافرين واطهار عجزهم
- استخدم الخطاب القرآني الاستعارة التمثيلية في حجاج إبليس لتجسيد تهديده بالعقاب هو وأتباعه.
- اظهار عجزه عن اغواء عباد الله المؤمنين
- كما عبرت الاستعارة التمثيلية في حجاج المنافقين عن مقصدين حجاجيين هما:
- بيان حال المنافقين
- الكشف عن جزاء المنافقين المقابل صانعيهم.

### 3. خاتمة:

لقد كشفت الصورة الاستعارية التمثيلية في حجاج المرتدين عن المقصد الحجاجي التالي:

وفي الختام، يمكن القول إن الخطاب القرآني قد دعم القوة الحجاجية الإقناعية للصورة الاستعارية التمثيلية من خلال توظيفه لجملة من الآليات اللغوية والبلاغية الدقيقة التي عززت من أثرها في نفس المتلقي، ومن أبرزها: آلية النعت التي تُبرز الصفات المقصودة، وآلية الاستفهام البلاغي التي تُثير الفكر وتدفع إلى التأمل، وآلية التوكيد بنوني التوكيد والميمية التي تُقوي الحجة وتُرسخ المعنى في الذهن، فضلاً عن آليتي الأمر والنداء البلاغيتين اللتين تخاطبان الوجدان والعقل معاً، وآلية التفصيل بعد الإجمال التي تزيد من وضوح المعنى ودقته، إضافة إلى خروج الكلام عن مقتضى الظاهر لما يقتضيه المقام من تعظيم أو تقريع أو تنبيه. وبذلك، يتضح أن الصورة الاستعارية التمثيلية قد كانت من أبلغ الوسائل البيانية والحجاجية التي ارتقى بها الخطاب القرآني إلى أسمى مراتب الإقناع والتأثير، محققةً الهدف البلاغي الأسمى للقرآن الكريم، وهو إقناع القلوب والعقول والإذعان التام لما جاء به من حقٍّ وهدى.

#### 4. توصيات :

في الأخير، نوصي بأن تُوجّه الدراسات المستقبلية إلى بحث حجاجية الصورة في مختلف ألوان الخطاب، سواء الديني أو الأدبي أو غيرها من المجالات التواصلية، وذلك لما للصورة من قدرة حجاجية فعالة في تحقيق عنصرَي الإقناع والتأثير معاً في نفوس المخاطبين. كما يمكن توسيع آفاق البحث في هذا المجال بغية الكشف عن الأبعاد الحجاجية والجمالية للصورة، واستجلاء دورها في بناء الخطاب وإثراء دلالاته وتوجيه مقاصده، لما تمثله من آلية بلاغية عالية التأثير تسهم في ترسيخ المعاني وإحداث التفاعل الوجداني والعقلي لدى المتلقي.

5. قائمة المراجع:

- ابو القاسم بغدادي. (بلا تاريخ). المعجزة القرآنية. الجزائر، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- الألوسي أبو الثناء. (بلا تاريخ). روح المعاني (المجلد ج2). بيروت، لبنان: دار احياء التراث العربي.
- البقلاني أبو بكر. (بلا تاريخ). إعجاز القرآن نقلا عن بلقاسم بغدادي ، المعجزة القرآنية.
- الجرجاني عبد القاهر. (بلا تاريخ). أسرار البلاغة (المجلد د.ط). جدة، السعودية: دار المدني.
- الزركشي بدر الدين . (بلا تاريخ). التفسير الكبير ج1 نقلا عن بلقاسم بغدادي.
- السيوطي جلال الدين. (بلا تاريخ). الاتقان في القرآن (المجلد ج2).
- المعمره بدور. (بلا تاريخ).
- سيد قطب. (بلا تاريخ). التصوير الفني في القرآن.
- عبد الله صولة. (بلا تاريخ). الحجاج أطره وتفصيله.
- مالك، بن نبي. (1987). الظاهرة القرآنية. دمشق سوريا: دار الفكر الجزائري.
- محمد الطاهر ابن عاشور. (بلا تاريخ). تفسير التحرير والتنوير.
- محمد سعيد رمضان البوطي. (بلا تاريخ). البوطي من روائع القرآن الكريم ، نقلا عن بلقاسم بغدادي معجزة القرآن، 703.